﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [النّمل: 62 - 63]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الرّبطُ بين معرفة اللهَ في السّرّاء بالاختيار؛ وفي البلاء والكرب بالاضطرار

لَمّا ذكّر ﷻ عبادَه بآياتِ الآفاق في السَّرّاء؛ نبّههم لِما يقع لهم في حالة الاضطرار، وأنّه تعالى يُجيبُ المضطَّرَ عند الجأر إليه بالدّعاء، ويكشفُ السّوء عمّن أحاط به البلاء، ويجعلُ عباده المؤمنين خُلفاءَ الأرضِ؛ لأنّه المُنجي عند اشْتدادِ الكروب، والمسارعُ لإجابة الدّاعين بالمطلوب.

مبيّنًا كيف أنّه يهدي المستجيرَ به في ظلماتِ البحر، وعواصف البرّ، ويرسل الرّياح لتسوق السّحابَ بالمطر، علاماتٍ قبل تفضّله بمنّته، وبشائرَ بين يدي عطائه ورحمته، وعند انكشاف الآياتِ، وانقشاع الظّلمات، يكرِّرُ سبحانه سؤالَ الإنكار لتحصيل الإقرار بقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾، مذكّرًا بكمال قدرته وسعةِ رحمته، وأنّه تعالى عمّا يُشركون، وكلٌّ من سواه عاجزٌ إزاءَ عظمته وهيمنته، وشتّانَ بين رُتبة العَجْزِ والقصور، ورُتبةِ القدرة والإحاطة بكلّ شيء[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾: اضْطُرَّ إلى الشَّيءِ يَضْطرُّ اضْطرارًا، أي: أُلْجِئَ إليه، والاضْطرارُ: حمْلُ الإنسانِ على ما يضرُّه، وهو في التَّعاريفِ: حَمْلُه على أمرٍ يكرهُه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 190 - 193، 198 - 199.

﴿٢٤﴾ [لقمان: 24]، وقال سبحانَه: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ [البقرة: 173][1]، والاضْطِرارُ: الاحْتياجُ إلى الشَّيْءِ، وقد اضطَرَّهُ إليْهِ أَمْرٌ: أَحْوَجَه وأَلْجَأَه، فاضطُرَّ، بضَمّ الطّاءِ، بِناؤُه افتعلَ، جُعِلَتِ التّاء طاءً؛ لأَنّ التّاءَ لم يَحْسُن لَفْظُه مَعَ الضّاد[2]، والمُضطرُّ: المحوَجُ الملجَأ إلى الشَّيء[3]. وقولُه تعالى: ﴿يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ﴾ أي: المكروبُ المجهودُ[4] الَّذي لا حولَ له ولا قوَّة[5]، فالمضطرُّ: اسْمُ مفعولٍ منَ الاضْطرار، الَّذي هو افْتعالٌ منَ الضّرورة[6].

2) ﴿خُلَفَآءَ﴾: (خلف) أُصولٌ ثَلاثَةٌ: أَحَدُها أَنْ يَجيءَ شَيْءٌ بَعْدَ شَيْءٍ يَقومُ مَقامَهُ، والثّاني خِلافُ قُدّام، والثّالِثُ التَّغَيُّرُ[7]، والأوّل هو المراد هنا، يقال: خَلَفَ يخلُفُ خَلْفًا وخِلافةً، والاسْمُ خُلَفاء. وخَلَفَ ضدُّ تقدَّمَ وسَلَفَ[8]، والخلفاءُ: جمع خليفةٍ، وهو مَنْ يُستخلف بعدَ مَنْ كان قبلَه. قال بعضُ العلماءِ: إنّما قيل لهم (خلفاءَ)، لأنّهم صاروا خَلَفًا من قومِ نوحٍ، حيث أَهْلَكَ اللّهُ أولئك وأسكن هؤلاء في الأرض بعدَهم، فكانوا خَلَفًا من بعدهم، وخلفاءَ مِنْ بعدِهم[9]، وقولُه تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ﴾ أي: خُلَفاءَ مَنْ قبلَكم من الأُمم، ويخلُفُ كلُّ قَرْنٍ منكمْ القَرْنَ الَّذي قبلَه، أي: يُهلِكُ قَرْنًا ويُنشئُ آخَرين، فأولادُكم خلفاءُ منكم[10].

3) ﴿يَهۡدِيكُمۡ﴾: هَداهُ يَهْديه هُدًى، والهدايةُ: دَلالةٌ بلُطف، ومنه الهديَّةُ، وهَوادي الوَحْش، أي: مُتقدّماتُها الهاديةُ لغيرِها، وخُصَّ ما كانَ دَلالةً بهدَيْت، وما كانَ إعطاءً بأَهْديت، نحو أَهْديتُ هديَّةً، وهَدَيْتُ إلى البَيْت. والهُدَى: الرَّشادُ والدَّلالة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: 52]، وهدَيتُه الطَّريقَ والبيتَ هدايةً: عرَّفْتُه، وهذه لغةُ أهلِ الحجاز، وغيرُهم يقول: هديتُه إلى الطَّريق وإلى الدّار. وهدَى واهْتدَى

(1) الرّاغب، المفردات، والرّازي، مختار الصِّحاح: (ضرر).
(2) الرّاغب، المفردات، والرّازي، مختار الصِّحاح: (ضرر).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (ضرر).
(4) البغويّ، معالم التَّنزيل: 6/ 173.
(5) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 193.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 85.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).
(8) الرّاغب، المفردات، والرّازي، مختار الصِّحاح: (خلف).
(9) الشّنقيطيّ، العذب النّمير من مجالس الشّنقيطيّ في التّفسير: 3/ 485.
(10) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم: 9/ 2810، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 194.

بمعنًى، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمَّد: 17][1]، وقولُه تعالى: ﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ﴾ أي: يُرشِدُكم[2].

4) ﴿بُشۡرَۢا﴾: (بشر) أَصْلٌ واحِدٌ: ظُهورُ الشَّيْءِ مَعَ حُسْنٍ وجَمالٍ[3]، وأَبْشَرْتُ الرَّجُلَ وبَشَّرْتُهُ: أَخْبرتُه بسارٍّ بَسَطَ بَشَرَةَ وجْهِه، وذلك أنَّ النَّفْسَ إذا سُرَّتْ انْتشَرَ الدَّمُ فيها انْتشارَ الماءِ في الشَّجَر، وبين هذه الألفاظِ فروقٌ، فإنَّ بَشَّرته عامٌّ، وأَبْشرتُه نحو: أَحْمدتُه، وبشَّرتُه على التَّكثير، وأَبْشرَ يكون لازمًا ومتعدّيًا، يقالُ: بَشَرْتُهُ فأَبْشَرَ، أي: اسْتبشَرَ، وأَبْشَرْتُهُ، قال اللهُ ﷻ: ﴿لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٥٣﴾ [الحِجر: 53]. واستبْشَرَ: إذا وجدَ ما يُبشِّرُه منَ الفَرَح، قال تعالى: ﴿*يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ [آل عمران: 171]. ويُقال للخَبَرِ السّارّ: البِشارة والبُشْرَى، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ [العنكبوت: 31]، والبشيرُ: المبَشِّر: قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾ [الرّوم: 46]، ومنه قولُه تعالى: ﴿يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا﴾، أي: تُبشِّرُ بالمطر[4].

المَعْنى الإجْماليُّ:

مَنْ يجيب المضطرّين الحائرين، ويُغيثُ السّائلين، مستحقٌّ للعبادة دون المعبودين

اللهُ ﷻ هو المدعوّ وحده عند الشَّدائد، المَرْجوُّ عند النَّوازل، الَّذي لا يلجأ المضطرُّ إلّا إليه، ولا يكشفُ الضُّرَّ سواه، وقد اقْتضتْ حكمتُه أن يخلق البشرَ من نَفْسٍ واحدة، ويجعلَهم خلفاءَ في الأرض، ويهديهم في ظُلماتِ البَرِّ والبَحْرِ، بما خلقَ من علاماتٍ ونجوم، بها يهتدون، ويُرسِلُ الرّياحَ بُشْرا، بين يديْ رحمته، فيُغيثُ المُجدبينَ، ويسقي القانِطين، فهو المتفرِّدُ بفعلِ ذلك بحكمته، وهو المُعطي من كرمه برحمته، فلا إله معه يكون، تعالى عمّا يشركون.

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (هدى).
(2) الشَّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 194.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بشر).
(4) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (بشر).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ الفصلِ في قولِه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ﴾:

اللهُ تعالى ذو الآياتِ الباهرةِ، يُجيبُ المضطرَّ مع مخالفاته الظّاهرة

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾، اسْتئنافٌ منَ النَّظمِ الكريم بطريقِ الاسْتفهامِ التَّقريريّ في معرض الاسترسال في تعداد الأدلّة على توحيده سبحانه، فبعد بيانِ عظيمِ خَلْقِ اللّهِ وقدرتِه، وآياتِه الدّالَّةِ على توحيدِه، فيما هو منظورٌ محسوس، مع ذلك يُشركُ بعضُ عبادِه به غيرَه، ومع ذلك يجيبُ المضطرَّ منهم، في حالِ الضّرورةِ والشِّدّةِ الَّتي تُلجئهم إلى مَنْ خَلَقَهم، فيتجرَّدون فيها من علائق أنفُسِهم وضَعفِهم، ويُخلِصونَ الاسْتغاثةَ بمن لا يُنجيهم إلّا هو ﷻ.

بلاغةُ الاسْتفهامِ في الآية:

لا يُجيبُ المضطرّين إلّا ربُّ العالمين

الاسْتفهامُ في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ تقريريٌّ؛ أي: لا أحدَ يجيبُ دعاءَ المضطرِّ إذا دعاه إلّا اللّهُ ﷻ، ولا أدلَّ على ذلك من أنَّ المشركين به ﷻ، لا يَلتجئونَ إلّا إليه عند الشَّدائدِ والبلاءِ الواقعِ بهم، ولذلك جاء هذا الاسْتفهامُ مصحوبًا بـ (أَمْ) الَّتي تفيدُ الإضرابَ الانتقاليّ[1].

دلالةُ مجيءِ فعلِ ﴿يُجِيبُ﴾ مضارعًا:

تجدُّدُ التجاءِ المشركينَ إلى اللهِ حالَ الاضْطرار

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بصيغةِ المضارع، في قولِه تعالى: ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾؛ لأنَّه ممّا يتجدَّدُ منَ اللّه تعالى؛ إذ يجيبُهم كلّما دَعَوه في اضطرارهم، وهم في حالِ اسْتمرارٍ وتجدُّدٍ في إقبالِهم على اللّهِ كلَّما اشْتدَّ بهم الضّيقُ واذْلهمَّت بهم الخُطوب؛ داعينَ اللّهَ مُنيبينَ إليه، راجينَ عفوَه عنهم، وكشفَ الضُّرِّ الواقع بهم[2].

دلالةُ لفظِ ﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾ وأهمّيَّتُه في السّياق:

آثرَ السّياقُ القرآنيُّ اسْتعمالَ لفظِ ﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾؛ لأنَّه افْتعالٌ منَ

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 15/ 5473.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 190.

الضَّرورة، وتعبيرٌ عن الشّدَّةِ الملجئة، والحاجة المُلِحَّة، لما يقعُ فيه العبدُ من ضيقٍ لا يُحتَمل، وكَرْبٍ لا مناصَ منَ الوقوعِ في حبائلِه المُهلكة، ولا أحدَ قادرٌ على إزالةِ الضُّرِّ وتفريجِ الهُمومِ إلّا اللّهُ المعبودُ بحقّ، ولا معبودَ بحقٍّ سواه[1].

الاضْطرارُ أعلى حالاتِ الضَّرورةِ المُلجئة للضّراعة

مجيءُ لفظِ ﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾ معرَّفًا:

التَّعريفُ في لفظِ ﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾ ليتناولَ الجِنسَ مُطلقًا، أي: لتعريفِ الجِنْس المسمَّى بلامِ العَهْدِ الذِّهني، أي: يجيبُ فردًا معهودًا في الذِّهنِ بحالةِ الاضْطرار[2]، فالألف واللّام في ﴿ٱلْمُضْطَرَّ﴾ للجنس لا للاستغراق، فقد لا يُجابُ دعاءُ بعض المضطرّين، لمانعٍ يحول بين العبد وبين إجابة دعائه، وإلّا فقد ضمن الله سبحانه إجابةَ دعاء المضطرّ إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه، شريطةَ أن يُناطَ الاضطرار بالإخلاص، وقطْعِ النّظر عمّا سوى الله، تطلّبًا للخلاص[3].

إجابةُ المضطرِّ المعهودِ في الذِّهنِ، بحالةِ الاضْطرار

دلالةُ ﴿إِذَا﴾ في السّياق:

﴿إِذَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾، ظرفٌ تقيَّد به الفعلُ ﴿يُجِيبُ﴾، وهو يقتضي إجابةَ اللّه عبدَه في حال الاضطرار خاصّةً حيث لا يقدرُ أحدٌ على نفعه وإجابته، والواقعُ أنَّ الإجابةَ منوطةٌ بإرادةِ اللّهِ تعالى، بحَسَبِ ما يقتضيه حالُ الدّاعي، وما يقتضيه مُعارضُه من أصولٍ أُخْرَى[4].

بيانُ أنّ إجابةَ المضطرّ، وعدٌ منَ الله لمن لجأ إليه في الخطر

إيثارُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿دَعَاهُ﴾ في الآية:

آثَرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظِ الدّعاء باستعمالِ الفعل ﴿دَعَاهُ﴾؛ لأنَّ الدُّعاءَ فيه معنى السُّؤالِ مع الاستغاثة[5]، واللَّجَأِ والضَّراعةِ من

الاضْطرارُ يُلجئُ إلى الدّعاءِ، مع الاستغاثةِ والضَّراعةِ والرّجاء

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 274.
(2) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 155، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 14.
(3) صديق حسن خان، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 10/ 61.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 15.
(5) الرّاغب، المفردات: (دعا).

العبدِ المخلوقِ الضَّعيفِ إلى اللهِ الخالقِ القويِّ ﷻ، وخاصَّةً إذا كان المقامُ مقامَ مَن أَحْوَجَتْه شدَّةٌ منَ الشَّدائدِ، وأَلْجَأَتْه مِحْنةٌ منَ المِحَن[1].

مجيءُ الفعلِ ﴿دَعَاهُ﴾ ماضيًا:

تحقُّقُ وقوعِ الدُّعاءِ للجبّار، ممّن أَلْجأهُ إليه الاضْطرار

جيءَ بفعلِ الدُّعاء ماضيًا، في قولِه تعالى: ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾، لتحقُّقِ وقوعِ الدُّعاءِ منَ المضطرّ، الَّذي أَنساهُ الضُّرُّ شركاءه، وأَلْجأه إلى مَنْ خَلَقه، وأَذْهلَه عن مذهبِه الباطل، وأَغْفلَه عمّا مضى من سوءِ أدبِه، فأَقْبلَ على قضاءِ أَرَبه، ونجاتِه ممّا حلَّ به، من بالغِ الشّدَّةِ وهَوْلِ المصيبة[2].

بلاغةُ العطفِ في قوله: ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾:

السّوءُ غشاءٌ يصيبُ المضرورَ، لا يرفعُه عنه إلّا الله الغفور

جاء عَطْفُ ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ على قوله تعالى: ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾، لبيانِ أنَّ المضطرَّ يلجأ إلى إلهِه بالدُّعاء، عندما يصيبُه السّوء؛ ليكشفَه عنه، والكشفُ أصلُه رفعُ الغشاء، فشُبِّه السّوءُ الَّذي يعتري الإنسانَ المضرورَ بغشاءٍ يحولُ دون المرءِ ودونَ الاهْتداء إلى الخلاصِ، تشبيه معقولٍ بمحسوس، ورُمِزَ إلى المشَبَّهِ به بالكشفِ الَّذي هو من روادفِ الغشاء، وهو أيضًا مستعارٌ للإزالةِ بقرينةِ تعْديته إلى السّوء، والمعنَى: أَمَّن يُجيبُ المضطرَّ إذا دعاه، ومَنْ يزيلُ السّوء؟[3].

ورودُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ دون سواه:

السّوءُ كلُّ ما يغمُّ الإنسانَ ويحزنُه، من أمورِ دينِه ودنياه

وردَ التَّعبيرُ بلفظِ السّوءِ، في قوله تعالى: ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ دون غيره منَ الكلماتِ المقاربة؛ لأنَّ لفظَ السّوءِ عامٌّ شاملٌ لكلِّ ما يَغُمُّ الإنسانَ من الأمورِ الدُّنيويَّة والأُخرويَّة، ومنَ الأحوالِ النَّفسيَّة، والبدنيَّة، ومن كلِّ الآفاتِ الَّتي تسبِّبُ الأمراضَ والآلامَ في ذاتِ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 274.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 191.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 15.

الإنسانِ، وفي غيرِه منَ الأهلِ والأرحامِ والأصحاب[1]، سواءٌ أكان ذلك في الضَّروريّات - كالدّين، والنَّفْس، والعقل، والمال، والعِرْض - أم في الحاجيّاتِ الَّتي هي دون ذلك في الأهميَّة، المتعلِّقةِ خاصَّةً بالأمور المعيشيَّة الَّتي يحتاجُها الإنسانُ في حياتِه، كالطَّعامِ والشَّرابِ وما بها قِوام دُنياه[2].

دلالةُ التعريف في ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾:

التَّعريفُ في قوله تعالى: ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ للجِنْس، وهو كلُّ ما يعتري الإنسانَ ممّا يسوؤه من غيرِ تعيين[3]، وذلك مثلُ المرض والفقر والقحط أوِ العذاب، والسّوء ما يسوء إلى النّفس[4]، فكلُّ ذلك ممّا لا يقدر على كشفه ودفعه إلّا اللّه تعالى.

السّوءُ الَّذي يسوءُ العبدَ من غيرِ تعيين، هو المقصودُ في السّياق

بلاغةُ العطفِ في قولِه: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ﴾:

عُطِفَ قولُه تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾، على ما تقدَّمَه من قولِه تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾، لبيانِ إنعامِ اللّهِ عليكم بنعمتَيْن: أولاهما كشفُ الضُّرِّ، والثّانيةُ بجعْلِكم الورثةَ لهذه الأرض، ترثونَ سكّانَها، وزرعَها وثمارَها، وسُلطانَها، فتكونون المحكَّمين المسَلَّطينَ فيها، تعمرونَ الأرضَ وتَجْنونَ منافعَها[5]، وفي هذا العطفِ انتقالٌ من حالِ المضطرِّ إلى رتْبةٍ مُغايرةٍ لحالةِ الاضْطرار، وهي الخلافةُ، فهما ظرفان، وكم حدَثٍ في الدُّنيا، ممَّن بلغَ حالَ الاضْطرار، ثمَّ صارَ مَلِكًا متسلِّطًا[6].

نعمتا كشفِ الضُّرِّ، ووراثةِ الأرضِ، تقتضيانِ عبادةَ المُنْعِم

إيثارُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿وَيَجْعَلُكُمْ﴾:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالجَعْلِ، في قولِه تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ

الخلافةُ في الأرض تمرُّ بمراحلَ تهيئةٍ وإعداد

(1) الرّاغب، المفردات: (سوأ).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 15.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 274، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 194.
(4) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 7/ 20.
(5) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 15/ 5473.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 259.

﴿خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾، لِما تقتضيه الخلافةُ من تجدُّدِ الأبناءِ عَقِبَ الآباء، والأجيالِ بعدَ الأجيال، وما اقْتضتهُ الاسْتجابةُ وكشفُ السّوء، من كثرةِ الدّاعينَ والمُستائين، وهذا كلّهُ يمرُّ بمراحلَ تهيئةٍ وإعدادٍ يقتضيه فعلُ الجَعْل[1].

مرجعُ ضميرِ ودلالة المضارعِ في ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ﴾:

يجعلُ اللهُ عبادَه مُستخلَفين في الأرضِ؛ لإعمارِها دينيًّا ودُنيويًّا

مرجعُ ضميرِ الفعلِ ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ﴾ لجميعِ العبادِ الَّذين يخلُفُ بعضُهم بعضًا، أُمَّةً بعدَ أُمَّةٍ، وجيلًا بعد جيل، وهذا كقوله تعالى حكايةً لقولِ نوحٍ عليه السلام: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [هود: 61]، ويدخلُ في الضَّميرِ مَنْ ألجأهم الاضْطرارُ والسّوءُ إلى اللهِ، داعينَ إيّاه أن يكشفَ عنهم ما أصابَهم من شدَّةٍ ولأْواء، واسْتعمالُ الفعلِ المضارعِ ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ﴾، دالٌّ على التَّجدُّدِ والاسْتمرارِ لهذا الجَعْل[2].

اخْتيارُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿خُلَفَآءَ﴾ في الآية:

الخلافةُ تَستلزمُ الوراثةَ، وهي ذاتُ بُعدٍ معنويّ سامٍ

لفظُ الخلافةِ يقتضي بطريقِ الالتزامِ معنَى الوراثةِ لِما سبق، فكلُّ حيٍّ هو خَلَفٌ عن سَلَفِه، والأُمَّةُ خَلَفٌ عن أمَّةٍ كانت قبلَها جيلًا بعدَ جيل[3]، والمعنى "يجعلكم يخلفُ بعضُكم بعضًا، قرنًا بعد قرن وجيلًا بعد جيل"[4]، حيث يجعلُكم الورثةَ لهذه الأرض المبسوطة، الملأى بالخيرات والأنعُم، ترثون سكّانها وزرعها وثمارها، وسلطانَها، فتكونون منَ المُحكَّمين فيها، وهذه نعمة عليكم إن شكرتموها، وهي نقمةُ اللهِ تعالى إن ظلمتم، وأفسدتم وأقمتم الباطل بدلَ الحقّ[5].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 16.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 15 - 16.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 15.
(4) محمّد سيّد طنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 10/ 347.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 473.

سرُّ إضافةِ لفظِ ﴿خُلَفَآءَ﴾ إلى ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

إضافةُ لفظِ ﴿خُلَفَآءَ﴾ إلى ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، في قولِه تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ للدَّلالةِ على أنَّ هذه الخلافةَ المقصودُ منها إعمارُ الأرض، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]، أي: يجعلُكم تعمُرونَ الأرضَ وتَجْتَنونَ منافعَها، فضمَّنَ الخلفاءَ معنَى المالكين، فأُضيفَ إلى الأرضِ على تقدير: (مالكينَ لها)، والمِلْكُ يستلزمُ الانْتفاعَ بما يُنتفَعُ به منها[1].

الله تعالى أنشأ خلقه من الأرض ثمَّ استعمرهم فيها

بلاغةُ الاستفهامِ في السّياق المُحكَم:

قولُه: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ استئنافٌ باستفهامٍ إنكاريٍّ عقبَ الأدلَّةِ من أنَّه لا أحدَ قادرٌ على إجابةِ المضطرِّ، وكشفِ السّوءِ وإقامةِ الخلافةِ في الأرضِ إلّا اللّه، زيادةً في تعدادِ خَطَئِهمُ الفادحِ في إشراكِهم إلهًا آخَرَ مع اللّه[2]؛ إذ كيف يُقرّون بأنّه لا يقدرُ على كلِّ ذلك إلّا اللّه سبحانه ثمّ يُشركون معه غيرَه!

إنكارُ إشراكِهم باللهِ مع كثرةِ الأدلَّة ووضوحِها على وحدانيَّةِ الله

مفهومُ المعيَّة في قوله: ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾:

المعيَّةُ في قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ تعني إشْراكَهم في اتّخاذِ أندادٍ للّهِ زعموا مشارَكتَهم إيّاه في الوجود، أو في إبداعِ هذه البدائع، وتَوليتِهم هذه النِّعمَ الجِسام[3]، والمعنى أنّه بعد ذكر قدرة اللّه على الخلق والإنبات وإنجاء المكروبين، وتمكين المؤمنين، و"أنّه لا يقدر على ذلك إلّا اللّه، فهل إلهٌ في الوجود يصنع صُنعَه، ويخلق خلْقَه؟ فكيف يشركون به، ما لا يضرّ ولا ينفع؟"[4].

مشاركةُ اللهِ غيرَه في الوجودِ والإبداع، زعمٌ باطلٌ مُستنكرٌ

دلالة مجيءِ لفظِ القِلَّة في: ﴿قَلِيلًا﴾:

لفظُ ﴿قَلِيلًا﴾ في قولِه تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، انْتصبَ

التَّعجُّبُ من قلَّةِ تذكُّرِهم وإشراكِهم، مع جلاء الحقِّ وظهور الأدلّة

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 15.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 16.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 295، والشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 194.
(4) صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن: 10/ 60.

على الحالِ من ضميرِ الخطابِ في قولِه تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: فعلَ ذلكَ لكم وأنتُم في حالِ قلَّةِ تذكُّركم، فتفيدُ الحالُ في ﴿قَلِيلٗا﴾ معنَى التَّعجّبِ من حالِهم[1]، وتفيدُ كذلك معنَى العدَم، يعني: أنَّ القليلَ مُكنًّى به عنِ المعدوم؛ لأنَّ التَّذكُّرَ المقصودَ معدومٌ منهم، أو ما يجري مجراه في الحقارةِ وعَدَمِ الجَدْوى[2]. والكنايةُ بالقليل عنِ المعدوم مُستعمَلةٌ في كلامهم، وهذه الكنايةُ تلميحٌ وتعريضٌ، أي: إنْ كنتُم تذكرون، فإنَّ تذكُّرَكم قليل[3].

معنَى ﴿مَّا﴾ في جملة ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾:

تأكيدُ القِلَّةِ بعدَمِها، أو عدمِ فائدتِها مفيدٌ في البيان

﴿مَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ مزيدةٌ، لتأكيدِ معنَى القِلَّةِ الَّتي أُريدَ بها العدَمُ، أو ما يجري مجراهُ في الحقارةِ وعدم الجَدْوى[4]. ويمكنُ أن تكونَ ﴿مَّا﴾ مصدريَّةً، والمصدرُ هو فاعلُ ﴿قَلِيلٗا﴾[5]، وعلى كلِّ الاحتمالات فالمشركون مذمومون بقلّة تدبّرهم وانتفاعِهم بآيات اللّه الكونيّة منها والشّرعيّةِ، على كثرتها وتنوُّعِها وظهور الحقِّ فيها.

إيثارُ التَّعبيرِ بفعلِ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ دون غيره:

استحضارُ المعلومِ المفيدِ استدلالًا، معدومٌ عند المشركين

التَّذكُّرُ منَ الذِّكْر، بضمِّ الذّال، وهو ضدُّ النِّسيان، فهو اسْتحضارُ المعلوم، وأوثرَ التَّعبيرُ بفعلِ التَّذكُّر؛ لأنَّ المقصودَ منه هنا التَّذكُّرُ المفيدُ اسْتدلالًا، وهو الَّذي يجبُ أن يكونَ، ولكنَّه غيرُ كائن[6]. وفي إيرادِ فعلِ التَّذكُّرِ إيذانٌ بأنَّ المتذكَّرَ في غاية الوضوح، بحيث لا يُتوقَّفُ إلّا على التَّوجُّهِ إليه[7].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 16.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 15/ 218، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 16.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 16.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 15/ 218.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 16.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 16.
(7) الآلوسيّ، روح المعاني: 15/ 218.

توجيهُ القراءاتِ الواردةِ في ﴿تَذَكَّرُونَ﴾:

اتِّخاذ شريك لله دليلُ قلّة العقل والتَّدبُّر

في قوله تعالى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ثلاثُ قراءاتٍ متواترة:

الأولى: قراءةُ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتاءِ الخطاب، وفيها نكتةُ توجيهِ الخطابِ إلى المشركينَ مكافحَةً لهم. والثّانية: قراءةُ ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ بياءِ الغَيْبة، وفيها نكتةُ الإعراضِ عنهم؛ لأنَّهم اسْتأْهلوا الإعراضَ بعد تذكُّرِهم. والثّالثةُ: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ بتاءِ الخطابِ مع الذّالِ المشدَّدة، وفيها خطابٌ - أيضًا - إلى المشركينَ مع الزّيادةِ في المبالغة، وزيادةُ المبنَى تدلُّ على زيادةِ المعنَى، وأصلُ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، و﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ و﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: تَتذكَّرونَ في الأوليَيْن، ويَتذكَّرونَ في الثّالثة[1].

والقراءة الأولى: هي قراءةُ حفص، وحمزةَ، والكسائيّ، وخلف، **والثّانية**: قراءةُ أبي عمرو وهشام ورَوْحٍ، **والثّالثة**: قراءةُ الباقين منَ العشرة[2].

سرُّ فصْلِ جملة ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ عما قبلها:

الانْتقالُ من رعايةِ النّاسِ في أحوالِهمُ العامَّةِ، إلى أحوالِهم الخاصَّة

فُصل قولُه تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ عمّا قبْله؛ لأنّ السّياق ما زال في معرض تعداد الأدلّة على وحدانيّة الله تعالى، حيث انتقل من نوعِ دلائلِ التَّصرُّفِ في أحوالِ عامَّةِ النّاسِ إلى دلائلِ التَّصرُّفِ في أحوالِ المسافرين منهم في البَرِّ والبحرِ، فإنَّهم أَدْرَى بهذه الأحوال، وأَقْدرُ لِما في خلالِه منَ النِّعمةِ والامْتنان[3].

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿يَهْدِيكُمْ﴾:

خلقَ اللهُ لعبادِه أسبابًا، تهديهم في ظُلُماتِ البَرِّ والبحر

وردَ لفظُ الهدايةِ في قوله ﴿يَهْدِيكُمْ﴾ بمعنى الرِّعاية الرَّبّانيَّة في تلك الظّروفِ القاسيةِ في ظُلُماتِ البَرِّ والبحر، وذلك بتيسيرِ الأسبابِ الَّتي تهدي أولئكم في تلكمُ الظُّلُمات، كما في سَيْر النُّجوم،

(1) مكّي، الكشف: 2/ 164، وابن زنجلة، الحُجَّة، ص: 534، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 16.
(2) ابن الجزريّ، النَّشر: 2/ 339.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 17.

نحو قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الأنعام: 97]، فاللّٰهُ الهادي للسَّيرِ في تلك الظُّلمات؛ بأن خلقَ النّجومَ على نظامٍ صالحٍ للهدايةِ في ذلك، وبأن ركَّبَ في النّاسِ مداركَ للمعرفةِ بإرصادِ سَيْرِها وصُعودِها وهُبوطِها، وهداهم أيضًا بمهابِّ الرّياح، وخوَّلهم معرفةَ اختلافِها بإحساسِ جفافِها ورُطوبتِها، وحرارتِها وبَرْدِها، وبهذه المناسبةِ أُدمِجَ الامْتنانُ بفوائدِ الرّياحِ في إثارةِ السَّحابِ الَّذي به المطر، وهو المعنيُّ برحمةِ اللّٰه، وإرسالُه الرّياحَ هو خَلْقُ أسبابِ تكوُّنِها[1].

مجيءُ فعلِ ﴿يَهۡدِيكُمۡ﴾ مضارعًا:

تجدّدُ إمدادِ اللهِ عبادَه بهدايتِه لهم، في الأحوالِ الشَّديدة

جاءَ فعلُ الهدايةِ بصيغةِ المضارع ﴿يَهۡدِيكُمۡ﴾، للدَّلالةِ على تجدُّدِ تلك الهدايةِ واستمرارِها منَ اللّٰهِ لعبادِه ورعايتِه وحفظِه لهم في أهوالٍ يتعرَّضونَ لها في البَرِّ والبحر، ومعنى الهداية هنا،" أي يرشدكم في اللّيالي المظلمة، إذا سافرتم في البرّ والبحر إلى مقاصدكم، وقيل: المراد مفاوزُ البرّ التّي لا أعلام لها، ولُجَجُ البحار، وشبّهها بالظّلمات لعدم ما يهتدون به فيها، وقيل: يهديكم بالنّجوم ليلًا، وبعلامات الأرض نهارًا"[2].

مفهومُ الظَّرفيَّةِ بالحرف ﴿فِى﴾:

بيانُ الهدايةِ الرَّبّانيَّةِ حالَ استغراقِ الظُّلُماتِ

ذِكْرُ الهدايةِ في ظُلُماتِ اللَّيلِ في البَرِّ والبحر، وإضافةُ الظُّلماتِ إلى البَرِّ والبحر بحرف الجرِّ ﴿فِى﴾ ومعناها الظَّرفيَّةُ يفيدُ اسْتغراقَ هذه الظُّلُماتِ لِما أُسْنِدتْ إليه، مع ما يُفيدُه معنَى الهدايةِ في هذه الحالِ الصَّعبةِ من مِنَّةِ الهدايةِ الرَّبّانيَّة؛ لإخراجِهم من مَعْمعةِ تلك الظُّلُمات[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 17.
(2) صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن: 10/ 62.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 17.

إيثارُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿ظُلُمَٰتِ﴾ مجموعةً:

علاقةُ ظُلُمات اللَّيالي، بمفاوز البَرِّ، ولُجَج البحر

آثرَ النَّظْمُ التَّعبيرَ بلفظِ الجمعِ في ﴿ظُلُمَٰتِ﴾؛ لأنَّ المرادَ ظُلُماتُ اللَّيالي في أسفارِهم في البَرِّ والبَحْر، أو هي مفاوزُ البَرِّ الَّتي لا أعلامَ لها، ولُجَجُ البحار[1]. ويجوز أن يُرادَ بالظُّلُماتِ عمومُ ظُلمةِ اللَّيل - الَّتي هي الحقيقةُ في اللّغة - وظُلمةِ الجهلِ والضَّلالِ والخَوْفِ الَّتي هي مجازاتٌ وتَشْبيهات[2].

بلاغةُ الإضافةِ في قوله: ﴿ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾:

بيانُ أحوالِ الظُّلُماتِ وملابساتِها في البَرِّ والبَحْر

إضافةُ الظُّلُماتِ إلى البَرِّ والبَحْرِ، في قولِه تعالى: ﴿ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، للمُلابسةِ وكونِها فيهما، فهي حالَّةٌ فيهما، أي: في ظُلُماتِ اللَّيالي فيهما[3].

نكتةُ ورودِ كلٍّ من ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ معرَّفَيْن:

اللهُ تعالى يهدي عبادَه في ظُلُماتِ أيِّ بَرٍّ وأيِّ بحْر، مهما عظُم

التَّعريفُ في ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ يفيد جِنْسَ البَرِّ والبَحْرِ على العموم في أيِّ بَرٍّ وبَحر، وهذا يدلُّ على عظيمِ نعمةِ اللهِ على عبادِه ومنَّتِه عليهم أنَّه ﷻ يهديهم في ظُلُماتِ أيِّ بَرٍّ وبَحْر، بما سخّره لهم من عِلْمٍ وعلاماتٍ.

سرُّ العطفِ في جملة ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾:

بيانُ الامْتنانِ بفوائدِ الرِّياحِ على العالمين

في عطْفِ النَّظْمِ الكريمِ قولَه تعالى: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾، على قولِه: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، أُدْمِجَ الامْتنانُ بفوائدِ الرِّياحِ، في إثارةِ السَّحابِ الَّذي به المطر، فاللّٰه تعالى هو الهادي للسَّيْرِ في تلكَ الظُّلُمات، بأنْ خلقَ النُّجومَ على نظامٍ صالحٍ للهدايةِ في ذلك، وعرَّفهم به، وهداهم أيضًا بمهابِّ الرِّياح، وخوَّلهم معرفةَ

(1) الشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 194.
(2) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 4/ 267.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 274، والآلوسيّ، روح المعاني: 15/ 218.

اخْتلافِها بإحساسِ جفافِها ورُطوبتِها وحرارتِها وبَرْدِها[1]، وجعلها تأتي بالسّحاب الذي يَنزل منه الماءُ فيكون رحمةً لهم ولمعاشهم.

دلالةُ مجيءِ فعلِ ﴿يُرْسِلُ﴾ مضارعًا:

استمرارُ رحمةِ اللهِ بعبادِه، بتجدُّدِ إرسالِ الرّياحِ

قولُه تعالى: ﴿يُرْسِلُ﴾ فعلٌ مضارعٌ، يفيدُ تجدُّدَ واسْتمرارَ إرسالِ الرّياح، فهو نعمةٌ ومِنَّةٌ منَ اللّهِ على عبادِه لا تنقطعُ عنهم، وفوائدُ الرّياح المتجدّدة غزيرةٌ، منها " أنّ الإنسان إذا كان في غاية الحرّ، فإنّ الله يرسل رياحًا، ترطّب ما هو فيه، وإذا به في الشّتاء ينتظر المطرَ ولا مطرَ، وفجأة تهبّ الرّياح، فينتظر البشارة منَ الله؛ لأنّ الرّياح ما دامت شديدة فستسوق السّحاب، وتُنزل ماءً على النّاس، إذًا: فالله ﷻ يرسل الرّياح بشارةً للخلق، بهطول المطر"[2].

بلاغةُ الاستعارة، في قوله تعالى: ﴿يُرْسِلُ﴾:

إرسالُ الرّياحِ كالعاقلِ المرسَلِ إلى جهةٍ ما، منَ البيان البليغ

أُطْلِقَ الإرسالُ، في قوله تعالى: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ على الانْتقالِ على وجهِ الاسْتعارةِ، فإرسالُ الرّياحِ: هُبوبُها منَ المكانِ الَّذي تهُبُّ فيه ووصولُها، وحسَّنَ هذه الاسْتعارةَ أنَّ الرّياح مُسخَّرةٌ إلى المكانِ الَّذي يُريدُ اللّهُ هُبوبَها فيه، فَشُبِّهتْ بالعاقلِ المرسَلِ إلى جهةٍ ما، فتصريفُ الرّياح من جهةٍ إلى جهةٍ، أشْبهُ بالإرسالِ منه بالإيجاد[3].

اخْتيارُ التَّعبير بـ ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ دون غيرِها:

الرّياحُ مُبشِّرةٌ مقترنةٌ بالرَّحمة الإلهيّة المُرسلةِ للعباد

التَّعبيرُ بـ ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾؛ لأنَّها تُبشِّرُ بالماءِ الطّاهرِ الَّذي يكون من المطر، الَّذي يُخرجُ الخَبْءَ، ويَنبُتُ به النَّباتُ بإذنِ اللّهِ تعالى[4]، ولأنَّ الرّياحَ حيثُما وقعتْ في القرآنِ، فهي مقترنةٌ بالرَّحمة، كقولِه تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: 22][5]، والتَّعبيرُ بـ ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 20/ 17.
(2) حطيبة، تفسير أحمد حطيبة: 6/ 155.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8 - ب/ 178.
(4) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 15/ 5474.
(5) ابن عطيّة، المحرَّر الوجيز: 2/ 412.

كذلك هي صيغةُ جمعٍ قد يُراد به تعدُّد المهابِّ، أو حصولُ الفتراتِ في الهُبوب[1].

دلالةُ التَّعريفِ في لفظ ﴿ٱلرِّيَحَ﴾:

ولفظُ ﴿ٱلرِّيَحَ﴾ جاء معرَّفًا للدَّلالةِ على الرّياحِ المعهودةِ الَّتي يكون إرسالُها مُبشِّرًا بالرَّحمة، وهي المطرُ الَّذي يكون سببَ إنباتِ النَّبات، وإحياءِ الأرضِ بالزُّروعِ والثّمار، ويكون بها طعامُ الإنسانِ والحيوان.

بيانُ وصفِ الرّياح المعهودة بجلبِ الخَيْر، ودَفْعِ القَحْطِ والضُّرّ

إيثارُ لفظِ ﴿بُشْرًا﴾ دون سواه:

آثَرَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿بُشْرًا﴾، في قوله تعالى: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾؛ لأنَّ اللّهَ تعالى يجعلُ تبشيرَ الرّياحِ بالماءِ، مقدِّمةً لرحمتِه مهيِّئةً لها، كما يُهيِّىء من بين يَدَيْه الرَّحمةَ المتمكِّنَ منها والَّتي في قبضته ﷻ، وهو القابضُ الباسطُ، الرّازقُ ذو القوَّةِ المتين[2]. وفي لفظ ﴿بُشْرًا﴾ - كذلك - تعريضٌ ببشارةِ المؤمنينَ، بإغداقِ الغَيْثِ عليهم، ونِذارةِ المشركين بالقَحْطِ والجوع، كقولِه تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجنّ: 16]، وقولِه تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [الدُّخان: 10][3].

الرّياحُ المهيئةُ لرحمتِه تعالى، غَيْثًا للمؤمنين، ونِذارةً للمشركين

توجيهُ القراءاتِ الواردةِ في قوله: ﴿ٱلرِّيَحَ بُشْرًا﴾:

قرأ ابنُ كثير وحمزةُ والكسائيّ وخلف: ﴿ٱلرِّيَحَ﴾ على التَّوحيد، أي: ﴿ٱلرِّيحَ﴾، وقرأ الباقون: ﴿ٱلرِّيَحَ﴾ بالجمع. وقرأ عاصم ﴿بُشْرًا﴾ بضمِّ الباءِ وسكونِ الشّين، وقرأ ابنُ عامر: ﴿نُشُرًا﴾ بضمِّ النّونِ وسكونِ الشّين، كما يقال: كُتُبٌ ورُسُلٌ، وقرأ حمزةُ والكسائي: ﴿نُشُرًا﴾ بضمِّ النّونِ والشّين[4]. فمَنْ قرأَ ﴿ٱلرِّيَحَ﴾ بالجمعِ حَسُنَ وصفُها بقوله: ﴿نُشُرًا﴾؛ لأنَّه وصفَ الجمعَ بالجمع. ومَن قرأَ

الرّياحُ بالجمع، طيِّبةٌ منتشرةٌ، مُبشِّرةٌ بالمطرِ والرَّحمة

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8 - ب/ 179.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 15/ 5474.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8 - ب/ 178.
(4) ابن مجاهد، السَّبعة، ص: 283، وأبو عمرو، التَّيسير، ص: 110، وابن الجزري، النَّشر: 2/ 269 - 270.

﴿ٱلرِّيحَ﴾ واحدة، قرأ ﴿نُشُرًا﴾ جمعًا، كقراءة ابن كثير - المتقدِّمة -؛ فإنَّه أرادَ بالرّيح الكَثْرَةَ، كقولِهم: كُثُرُ الدِّرهم والدّينار، والشّاء والبعير، وكقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: 2]، ثمَّ قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: 3]، فلمّا كانَ المرادُ بالرّيحِ الجمعَ وصفَها بالجمع، كقولِ عنترة:

فيها اثْنتانِ وأَرْبعونَ حَلوبةً *** سودًا كخافيَةِ الغُرابِ الأَسْحَمِ[1]

وقراءةُ ﴿نَشْرًا﴾ مصدرُ نَشَرْتُ الشَّيءَ ضدُّ طوَيْتُه، ويُرادُ بالمصدرِ ههنا المفعول، والرّياحُ كأنَّها كانت بانْقطاعِها كالمطويَّة، فأرسلَها اللّهُ تعالى مَنْشورةً بعد انْطوائها، فقولُه: ﴿نَشْرًا﴾ هنا مصدرُ حالٍ منَ الرّياح. ويجوزُ أن يكونَ النَّشْرُ ههنا الَّذي هو الحياةُ من قولهم: أَنْشَرَ اللّهُ الميِّتَ فَنُشِر، قال الأَعْشى: يا عجبًا للميِّتِ النّاشِرِ[2]. وإذا حُمِلَ على ذلك - وهو الوَجْه - كان المصدرُ يُرادُ به الفاعلُ، كما يقال: أتاني ركْضًا، أي: راكضًا. ويجوزُ أن يكونَ انْتصابُ قوله: ﴿نَشْرًا﴾ انْتصابَ المصادرِ لا الحالِ، من بابِ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: 88]؛ لأنَّه إذ قال: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾، دلَّ هذا الكلامُ على نَشْرِ الرّيح نَشْرًا، وقراءة ﴿بُشْرًا﴾، جُمِعَ فيها (بشيرًا) على (بُشْر)، من قوله تعالى: ﴿يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الرّوم: 46]، أي: تبشِّرُ بالمطرِ والرَّحمة. والنُّشْرُ منَ الرّياحِ الطَّيِّبة اللَّيِّنةِ الَّتي تُنشِئُ السَّحاب، واحدُها نُشورًا، وأَصْلُ هذا من النَّشْر: وهو الرّائحةُ الطَّيِّبة ومنه قولُ امرىء القَيس: ونَشْرَ القُطُرْ[3]. و﴿نُشُرًا﴾ أي: متفرِّقةً من كلِّ جانب[4]، وبمعنَى: المنتشرةُ الهُبوب[5]. وقراءةُ ﴿نَشْرًا﴾ يجوزُ أن تكونَ من بابِ حذفِ المضافِ على معنَى: ذوات نَشر، أي: ريح طيِّبة[6].

دلالةُ عبارة ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾:

﴿بَيْنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾، تفيدُ الظَّرفيَّةَ المكانيَّةَ المجازيَّة، أي: أمامَ

(1) عنترة، ديوانه، ص: 17.

(2) الأعشى، ديوانه، ص: 93، وهو في عند: ابن دريد، جمهرة اللُّغة، ص: 242، وصدره: حتَّى يقولَ النّاسُ ممّا رأَوْا.
والنّاشرُ: الَّذي بُعث من قبره، ينظر: الجوهري، الصّحاح، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (نشر).

(3) امرؤ القيس، ديوانه، ص: 69، وهو عند: عبد القادر البغداديّ، خزانة الأدب: 9/ 231، والأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (نشر).

(4) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/ 217، واليزيديّ، غريب القرآن، ص: 146.

(5) الأخفش، معاني القرآن: 2/ 301، والنَّحّاس، معاني القرآن: 3/ 44.

(6) ينظر في توجيه القراءات: أبو عليّ الفارسيّ، الحُجَّة: 4/ 32 - 39، والأزهريّ، معاني القراءات: 1/ 409، وابن خالويه، إعراب القراءات: 1/ 186، والحُجَّة، ص: 157، وابن زنجلة، الحجَّة، ص: 285.

رحمته وقُدّامَها، فهي تعبيرٌ عن الكَوْنِ بين اليدَيْن[1]. وأصلُ معنَى قولهم: (بين يديّ فلان)، أنَّه يكونُ أمامَهُ بقربٍ منه، ولذلك قوبِلَ بالخَلْفِ في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: 255]، فَقَصْدُ قائلِهِ الكنايةُ عن الأمام، وليس صريحًا، حيث إنَّ الأمامَ القريبَ أَوْسعُ منَ الكَوْنِ بين اليَدَين، ثمَّ لشُهرةِ هذه الكنايةِ وأغلبيَّةِ موافقتِها للمعنَى الصَّريح جُعِلَتْ كالصَّريح، وساغَ أن تُستعمَلَ مجازًا في التَّقدُّم والسَّبْقِ القريب، كقولِه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: 46]، وفي تقدُّم شيءٍ على شيءٍ، مع قُربِه منه من غيرِ أن يكونَ أمامَه، ومن غيرِ أن يكونَ للمتقدّم عليه يَدان، وهكذا اسْتعمالُه ودَلالتُه في هذه الآية، أي: يُرسِلُ الرّياحَ سابقةً رحمتَه[2].

يُرسلُ اللهُ الرّياحَ سابقةً رحمتَه، وذلك من ألطافه ونعمته

دلالةُ الاسْتفهامِ، في قولِه: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾:

قولُه تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ اسْتفهامٌ إنكاريٌّ، ينفي أن يكونَ مع اللهِ إلهٌ آخَر، إذْ كيف يمكنُ أنْ يُعبَدَ غيرُه تعالى، مع وضوحِ الأدلَّةِ وتضافُرِ الآياتِ على وحدانيَّتِه في خَلْقِه وبديعِ صُنعِه، ونِعَمِه الجليلةِ النّاطقةِ بعَظَمةِ مَنْ أَنْعَمَ بها.

غايةُ الأسلوب تأكيدُ نفي وجودِ إلهٍ آخَر مع الله

سرُّ التَّعبيرِ بصفةِ العُلوِّ ﴿تَعَٰلَىٰ﴾:

في اخْتيارِ صفةِ العُلوِّ ﴿تَعَٰلَىٰ﴾، تقريرٌ وتحقيقٌ بأنَّ كلَّ المخلوقاتِ مقهورةٌ تحتَ قدرتِه، لا تخرُجُ عن سلطانِه ومُلكِه وحُكْمِه، وفي ذلك كنايةٌ عن كونِه الكبيرَ المتعال، عُلوَّ عظمةٍ وتنزُّهٍ عن مشابهةِ خلْقِه، في ذاتِه وأفعالِه وأسمائه وصفاته[3].

تقريرُ عَظَمةِ اللهِ وتنزُّهِه عن كلِّ ما يتَّصفُ به الخَلْق

نكتةُ مجيءِ لفظِ الجلالةِ هنا مُظْهَرًا:

إظهارُ الاسْمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهُ﴾، في قوله تعالى: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ في

بيانُ تنزّهِ اللهِ بألوهيَّتِه، وتفرّدِه بجمالِه وكماله وعزّته

(1) ابن عطيّة، المحرَّر الوجيز: 2/ 413، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8 - ب/ 180.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8 - ب/ 180.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 295.

موضعِ الإضمارِ للإشعارِ بعلَّةِ الحُكْم؛ أي: تعالى اللّهُ وتنزَّه بذاتِه المنفردةِ بالأُلوهيَّةِ المُسْتَتْبِعَةِ لجميعِ صفاتِ الكمالِ، ونُعوتِ الجمالِ والجلالِ، المقتضيةِ لكَونِ كلِّ المخلوقاتِ مقهورًا تحت قدرتِه ﷻ[1].

دلالةُ شبْهِ الجملة ﴿عَمَّا﴾:

قوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: عن إشْراكِهم معه آلهةً، فقولُه: ﴿عَمَّا﴾ أي: (عن ما) و(ما) هنا مصدريَّة، ينسبِكُ منها مع الفعل ﴿يُشْرِكُونَ﴾ مصدرٌ، أي: تعالى اللّهُ عن إشراكِهم، وذلك يفيدُ المبالغةَ في تماديهم في إشراكِهم باللّه، أو موصولة؛ أي: تعالى اللّه عنِ الذي يشركونه به[2]، وعلى كلا المعنيين فالذَّمُّ واقع على الشّرك والمشركين والمشرَكِ بهم.

تنزَّهَ اللهُ عن إشراكِهم معه آلهةً أخرى

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل المضارع ﴿يُشْرِكُونَ﴾:

التَّعبيرُ بالفعلِ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بصيغةِ المضارعةِ، يفيدُ تجدُّدَ شِرْكهم واسْتمرارَه، ممّا يؤكِّدُ انْغماسَهم فيه، وملازمتَهم له، وعدمَ تجافيهم عنه، فمع وضوح الأدلّة، وتحقّقِها أمامهم عيانًا، ورؤيتهم لها ليلًا ونهارًا؛ يتكرّر منهم الإشراك بالعظيم سبحانه، فبئس الفعلُ فعلُهم، وبئس العقلُ عقلُهم.

استمرارُ المشركين على شركِهم، يناسبُ زمنَ الفعل ومؤدّاه

نكتةُ حذفِ مُتعلَّقِ فعل ﴿يُشْرِكُونَ﴾:

حُذِفَ متعلَّقُ فعلِ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ للتَّصريحِ بما أشارتْ إليه الآياتُ السّابقةُ في تَذْييلاتها، فقولُه: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ أي: عن وجود ما يشركونه به سبحانه بعنوان كونه إلها وشريكا له تعالى، أو تعالى اللّه عن شركة أو مقارنة ما يشركونه به سبحانه، أو عن إشراكهم[3]، فاللّه سبحانه متعالٍ عن كلِّ ذلك.

تعالى اللهُ عن إشراكِهم وعن أيِّ شركةٍ أو مقارنة

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 6/ 295.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 218.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 218.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإجابة والعطاء:

الإجابةُ: موافقةُ الدّاعي إلى الفعلِ من أجلِ أنَّه دعا به، يقال: أجابَ اللّهُ فُلانًا، والجوابُ يقالُ في مقابلةِ السُّؤال، كما يقول السّائل: أَتوافقُ في هذا المذهبِ أمْ تخالفُ؟ فيقول المجيب: أخالفُ، قال تعالى: ﴿۞فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ﴾، ولا تكونُ إجابةً إلّا بأن تُفعَلَ لموافقةِ الدُّعاءِ بالأمرِ ومن أجله، فالإجابةُ تكونُ للأَدْعية، يقال: أجابَ دعاءه، وقولُك: أجاب، معناه: فعلَ الإجابة، أي: أوقع الإجابة بفعلها، قال تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: 89][1]. والإعطاءُ: الإنالةُ، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التَّوبة: 29]، واخْتصَّ العطيَّة والعطاء بالصِّلة، قال تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ [ص: 39]. والإعطاءُ دليلُ التَّملُّك، ولا يقتضي إخراجَ المعطي منَ الملك، وذلك أنَّك تُعطي زيدًا المالَ ليشتريَ لك الشَّيء، وتُعطيه الثَّوبَ ليُخيطَه لك، ولا يخرجُ عن ملكِكَ بذلك، فالَّذي يعطي يملكُ ما يعطيه، ويؤيِّدُه قولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1]، فإنَّه كان له منعُ من شاءَ منه كالمالكِ للملك[2].

الإجابةُ قد تكونُ بموافقةِ الدّاعي أو بمخالفته، والإعطاءُ الإنالةُ، دون خروجِ ما يملكُه منه

الاضطرار والقهر:

الاضْطرارُ: حملُ الإنسانِ على ما يضرُّه، وهو في التَّعارفِ حملُه على أمرٍ يكرهُه، ولا يقدرُ على الامْتناع فيه بسببٍ موجبٍ لذلك، وإن كان بحسبِ ذلك قادرًا على الامْتناع، وذلك على ضربَيْن: **أحدهما:** اضطرارٌ بسببٍ خارجٍ كمن يُضرَب، أو يُهدَّد، حتَّى يفعلَ منقادًا، ويؤخَّرَ قهرًا، فيُحملُ على ذلك، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ﴾ [البقرة: 126]. **والثّاني:** بسببٍ داخلٍ وذلك إمّا بقهرِ قوّةٍ له لا

المضطرُّ لا يقدِرُ على الامْتناعِ منَ الفعلِ بسببٍ داخليٍّ أو خارجيّ، والمقهورُ يفعلُ بغَلَبةٍ

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 45، 335، 419، والرّاغب، المفردات: (جوب)، والجرجانيّ، التَّعريفات، ص: 145، والكفويّ، الكلِّيّات: 1/ 60.

(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 83، 86 - 87، والرّاغب، المفردات: (عطا)، والكفويّ، الكلِّيّات: 1/ 360.

ينالُه بدفعِها هلاك، كمن غَلَبَ عليه شهوةُ خمرٍ أو قِمار، وإمّا بقهرِ قوّةٍ ينالُه بدفعِها الهلاك، كمنِ اشْتدَّ به الجوعُ فاضطرَّ إلى أكل مَيتةٍ، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: 173]، وقولُه تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النَّمل: 62] فهو عامٌّ في كلِّ ذلك[1]. والقَهْرُ: الغَلَبةُ والتَّذليلُ معًا، ويُستعمَلُ في كلِّ واحدٍ منهما، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 18]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضّحى: 9]، أي: لا تُذلل، وأَقْهرَه: سلَّط عليه مَنْ يَقهرُه[2].

الكشف والإزالة:

الكَشْفُ: سَرْوُ الشَّيءِ عنِ الشَّيء، كالثَّوْبِ يُسْرَى عنِ البَدَن، يقال: كَشفْتُ الثَّوْبَ عنِ الوجهِ وغيرِه، ويقالُ: كشفَ غمَّه، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 17]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ [ق: 22][3]. وزالَ الشَّيءُ يزولُ زَوالًا: فارقَ طريقتَه جانحًا عنه، وقيل: أَزَلْتُه، وزوَّلْتُه، قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: 41]. والزَّوالُ يقالُ في شيءٍ قد كان ثابتًا قبل، وقيل: زالَه يُزيلُه زَيْلًا، قال الشّاعر: زالَ زوالُها[4]، أي: أَذْهبَ اللّهُ حركتَها[5].

كلاهما يفيدُ إزالةَ شيءٍ لشيءٍ ومفارقتَه حِسّيًّا ومعنويًا، والثّاني يفيدُ ثباتَ الشَّيءِ من قبلُ

الخليفة والوليّ:

الخليفةُ من اسْتُخلِفَ في الأمرِ مكانَ مَنْ كانَ قبْلَه، فهو مأخوذٌ من أنَّه خَلَفَ غيرَه، وقامَ مقامَه؛ لأنَّ خَلَفَ ضدُّ تقدَّمَ وسَلَف، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: 169]، وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ

اللّفظان يشتركانِ في جعلِ الثّاني بعد الأوّل، وأوْلياءُ أوسعُ دِلالةً من خُلفاء

(1) الرّاغب، المفردات: (ضر)، والعسكري، الفروق اللغوية، ص: 66، والكفويّ، الكلّيّات: 1/ 214.
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (قهر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (كشف).
(4) البيت: هذا النَّهارُ بَدالها من همِّها ما بالُها باللَّيلِ زال زوالُها، وهو للأعشى في ديوانه، ص: 150.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (زال)، والسّرقسطيّ، الأفعال: 3/ 479.

خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [النّمل: 62][1]. والوَلايةُ: تولّي الأمر، والوِلاية: النُّصرة، وقيل: الوِلاية والوَلاية نحو: الدِّلالة والدَّلالة، وحقيقتُه تولّي الأمر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ [الأعراف: 3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: 27]، وقال سبحانه: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ [النّساء: 76]، وكلُّ من ولي شيئًا من عملِ السُّلطانِ فهو والٍ، فالقاضي والٍ، والأميرُ والٍ، والعاملُ والٍ. وأصلُ الوَلْي جعلُ الثّاني بعد الأوّل من غير فَصْلٍ، من قولِهم: هذا يلي ذاك ولْيًا، ووالّاهُ اللّهُ كأنَّه يلي أمرَه ولم يَكِلْه إلى غيرِه، ووالّاه أمرَه: وكلَه إليه، كأنَّه جعلَه بيدِه، وتولَّى أمرَ نَفْسِه قامَ به من غيرِ وسيطة[2].

الهداية والعون:

العَوْنُ معنًى من معاني الهدايةِ، للوصولِ إلى الشَّيء

الهدايةُ: دَلالةٌ بلُطْفٍ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: 52]. والهدايةُ تفيدُ التَّمكُّنَ منَ الوصولِ إلى الشَّيء، فالهدايةُ تكونُ إلى الشَّيء، وهذه الهدايةُ تكونُ بالتَّعريف، يقال: هَدَيتُه الطَّريقَ والبيتَ هدايةً: أي عرَّفتُه، وهذه لغةُ أهلِ الحجاز، وغيرُهم يقول: هَدَيتُه إلى الطَّريقِ وإلى الدّار، وهَدَى واهْتدى، بمعنًى واحدٍ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾ [محمّد: 17]. والهدايةُ تكون بمعنَى التَّوفيق، وهي خاصَّةٌ باللّه، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص: 56]. والهدايةُ الَّتي أَسْنَدها اللّهُ لرسولِه ﷺ هي هدايةُ الدَّلالةِ والبيان، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشّورى: 52][3]. والعَوْنُ: المعاونةُ والمظاهرة، يقالُ: فلانٌ عَوْني، أي: مُعيني، وقد أَعَنتُه، قال تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف:

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 222، والرّاغب، المفردات: (خلف)، والكفويّ، الكُلِّيّات: 2/ 299.
(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 577 - 578.
(3) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 532، والرّاغب، المفردات: (هدى).

95]، وقال تعالى: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: 4]. واسْتعانَ به فأعانَه وعاونَه، وتعاونَ القومُ أعانَ بعضُهم بعضًا[1].

البشرى والسرور:

البُشْرَى والبِشارةُ: الخَبَرُ السّارُّ، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [العنكبوت: 31]، والَّذي يزُفُّ الخبرَ السّارَّ يقال له: البشيرُ والمبَشِّر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الرّوم: 46]. والاسْتبشارُ: هو السُّرورُ بالبِشارة، والاسْتفعالُ للطَّلب، والمُستبشِرُ بمنزلةِ مَنْ طلبَ السُّرورَ في البِشارةِ فوجدَه، وأصلُ البُشرَى: البَشَرَة؛ لظُهورِ السُّرورِ بها في بَشَرَةِ الوجه[2]. والسُّرورُ: اسْمٌ وُضِعَ مَوْضعَ المصدرِ في قولِك: سُرَّ سُرورًا، فهو مَسْرور، قال تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: 9]. والسُّرورُ لا يكونُ إلّا بالفوائد، وما يجري مجراها منَ الملاذّ، ونقيضُه الحُزْن، وهو لا يكونُ إلّا بالمرازي. والسُّرورُ: ما يَنْكتِمُ منَ الفَرح، قال تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ [الإنسان: 11][3].

البُشرَى لا تكون إلّا سارَّة، وهي توطئةٌ لحدوثِ السُّرور

(تعالى) و(تعاظم) و(ارتفع):

العُلوُّ: ضدُّ السُّفلِ، والعُلْويُّ والسُّفْليُّ المنسوبُ إليهما. والعُلُوُّ: الارْتفاع، فـ(علا) بالفتحِ في الأمكنةِ والأجسامِ أكثر، قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ [الإنسان: 21]. وقيل: إنَّ (عَلا) يقالُ في المحمودِ والمذموم، و(عَليَ) لا يقالُ إلّا في المحمود، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: 4]، والعَليُّ: الرَّفيعُ القَدْر، من عَليَ، وإذا وُصِفَ اللّهُ تعالى به في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۝٣٤﴾ [النّساء: 34]، فمعناه: يَعْلو أن يُحيطَ به وصفُ الواصفين؛ بل علمُ العارفين، وعلى ذلك

الكلماتُ الثلاثُ مشتركةٌ، في مَدْلولِها الحسّيّ والمعنويّ

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عون).
(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 44، والرّاغب، المفردات: (بشر).
(3) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 277، والرّاغب، المفردات: (سرر).

يُقالُ: (تَعالَى)، كما في قولِه تعالى: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وتخصيصُ لفظِ التَّفاعلِ لمبالغةِ ذلك منه، لا على سبيلِ التَّكلُّفِ كما يكونُ منَ البَشَر، وقال ﷻ: ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: 43][1].

وعَظُمَ الشَّيءُ أصلُه: كَبُرَ عَظْمُه، ثمَّ اسْتُعيرَ لكلِّ كبيرٍ، فأُجْرِيَ مَجْراهُ محسوسًا كان أو معقولًا، عَيْنًا كان أو معنًى، قال تعالى: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزُّمَر: 13]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [ص: 67]. والعظيمُ إذا اسْتعمِلَ في الأعيانِ فأصلُه: أن يُقالَ في الأجزاءِ المتَّصلة، وقد يقالُ في الأجزاءِ المنفصلة، نحو: جَيْشٌ عظيم، ومالٌ عظيم. وأعْظَمَ الأمرَ وعظَّمَه تعظيمًا، أي: فخَّمَه، والتَّعظيمُ: التَّبْجيل، وتعظَّمَ: تكبَّرَ، والاسْمُ: العُظْمُ، وتعاظمَهُ أمرُ كذا، وتقولُ: أصابَنا مَطَرٌ لا يَتعاظَمُهُ شيءٌ، أي: لا يَعْظُمُ عندَه شيء[2]. والرَّفْعُ يقال تارةً في الأجسامِ الموضوعة، إذا أَعْلَيْتَها عن مقرِّها، نحو قولِه تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: 93]. وتارةً في البناءِ إذا طوَّلتَه، نحو قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: 127]. وتارةً في المنزلةِ إذا شرَّفتَها، نحو قولِه تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: 15]، وقولِه تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النّور: 36]، أي: تُشَرَّف. والعُلوُّ والارْتفاعُ يكونانِ في المكانِ وفي غيرِه[3].

(1) الرّاغب، المفردات: (علا)، والسّرقسطيّ، الأفعال: 1/ 204، 252.
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عظم).
(3) الرّاغب، المفردات: (رفع)، والعسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 314.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»